أصداء.. ومناضلون.. وكـ(بـ)ش ملك!

محمد بن سيف الرحبي

أصداء عالية!

ألحّ علي صاحبي أن أسرد عليه أصداء مقالي الماضي (هنا) حيث أنه لامس جرحا حساسا لدى وسائل الإعلام في بلادنا، وبالطبع المحسوبة على المال الخاص، أما من ترعاه الحكومة بشكل مباشر أو غير مباشر فهذا ليس معنيا بما يجري في الساحة من تحديات، لتكن كل الصفحات والشاشات أخبارا رسمية طالما أن «الرضا» متوفر بما يحفظ حقوق «البقاء»!

قلت له إن الجهات الحكومية تواصلت معي، فمجلتنا صوت محسوب على إعلام البلد، وقد نلنا مباركة الموافقة على الصدور من جملة مؤسسات ووصولا إلى مجلس الوزراء الموقر، وكما ترعى الدول الأخرى المطبوعات الإعلامية المحسوبة على البلد، هوية وصوتا، فإننا تلقينا ما يكفي من الاتصالات ليقال لنا نحن معكم قلبا وقالبا، فلا يجدر بالدولة أن تهمّش هذا المنجز العماني، بما فيه من أقلام أبناء البلد، وصادر من مؤسسة نسبة التعمين فيها ١٠٠ بالمائة، وهؤلاء سيكونون ضمن خطة التدريب، وربما في الدفعة الأولى من مركز التدريب الإعلامي الذي وافق عليه مجلس الوزراء.. العام الماضي!.

أما الطيران العماني فقد توالت الاتصالات من مكتب معالي رئيس مجلس الإدارة، وقالوا لا يمكن أن تحضر مجلات الآخرين على متن ناقلنا الوطني (الدرجات المخملية) بينما تغيب مطبوعاتنا العمانية، أما محاورة الرئيس التنفيذي للشركة أنتم من تحددون وقتها، وحاجب الإعلام تمت مساءلته عن هذا التهميش تجاهكم.

وقبل أن يصدّق صديقي تخيلاتي.. قلت له: لا تتوهم، أو لا تصدق هذا الوهم، فذلك لا يحدث في بلادي!.

الصوت الإعلامي محددة دائرته: يستقبل الأخبار وينشرها، وكلما أبرزها أكثر.. نال الرضا أكثر.

كبش الملك:

أحد الأصدقاء أرسل لي هذه القصة، والمنقولة «برا وبحرا وجوا» عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ووالدها الأصلي مجهول..

تقول الحكاية: يتبختر كبش الملك كل صباح بين سائر الحيوانات الأخرى، كان مختلفا تماما عن سائر القطيع الذي يمرح معه.. شعره المدلى.. مأكله الذي يفوق مأكل الإنسان العادي.. يخرج في الصباح يستعرض النعيم الذي يعيشه، يهتز لحمه المكتنز بين دفتيه نظير ما يتناوله.

كان أمنية الكثيرين ممن حوله، رغم أنه مجرد كبش فقط، يتمنى كل من يراه ان يكون لحما بين يديه، لكن الخوف من الملك يجعلهم يتراجعون، إنما لم يكتف أحدهم بالتمنيات بل تجاوزها، فاحتال وأخذ الكبش إلى بيته، ، ولما وضعه امام مرأى زوجته أكبرته، وصاحت: إن هذا لشيء عجيب، لم يتمالك نفسه وأخبرها طالبا منها أن تبقي الأمر سرا، مخافة ان يتفشى الامر ويذبحه الملك كما ذبح الكبش، وبعد أن تناولاه جاءتها نسوة القرية فأخذتها جشية عميقة بصوت مرتفع، وحمدت الله، ولم تتمالك من شدة الفخر بما تناولته دون الأخريات، وقالت منتشية: لحمة الكبش، فقالت إحداهن: يالهذا الكبش الذي يجعل الجشية مختلفة، تحمل رائحة الملك في مشيته، فقالت: وهو أيضا كبش الملك.

انتهت الحكاية، لكن لن تتوقف تداعيات المعاني، احذفوا كلمة «ملك» واستبدلوها بما شئتم من مسميات وظيفية رفيعة!.

نضال.. «خمس نجوم»:

كلما صعد صوت يقدم نفسه على أنه «مناضل» و «معارض» وجد من يروّج أطروحاته، ليس عن قناعة، ولكن لأن «المتداول» مثير، حيث تغدو «الإباحية» في التفكير مشروعة أمام من يريد القول إنه صوت يغرد خارج السرب من أجل مصلحة السرب، وينطق باسم الملايين الذين يشاركونه هموم وطن، بينما هي.. هموم حياة.. لا أكثر.

من السهل القول إنك تتحدث باسم وطن.. والأسهل الادعاء أنك تحمل على كاهلك هموم المواطن، لكن السؤال: من الذي أعطاك الحق في الحديث بالنيابة عنه؟!

وقد تناسل حملة شعارات التغيير فقد وجدوا في مواقع التواصل الاجتماعي ما يسهّل عليهم التنظير عبر منصاتها، مع أن التغيير يبدأ بالعمل، أن تكون إيجابيا في خدمة القضية التي تنادي بها، أما المؤمنون بقدرة مفاهيم «التأليب» و «التأنيب» وإطلاق الاتهامات والشتائم فأصواتهم لن تتجاوز شاشات الهواتف المحمولة والحواسيب التي يريدون منها انطلاق ثورة التغيير.. ومن لا يستطيع قبول عواصف «التغيير» المنطلقة من الجوامع هل يمكنه قبولها ممن يدعون أنهم مثقفو الوعي.. وقد حرموا منه، حتى وهم يكتبون أفكارهم!

غيفارا مات، وزمنه لم يعد زمننا، فارحمونا من «نضالكم» الواعي جدا!!، خاصة حينما تكتبون في «الحانات»، ولا تخشون شيئا، فبعد «شاي الكرك» يحق لكم أن تأملوا في وظيفة محترمة على مقاعد الحكومة، فقد تعودت أن تحتضن أبناءها.. خاصة من يتمرد على «النص» أكثر!.

.. وأخيرا:

قرأت خبرا أن الطيران العماني يسهم بنحو ٦٠٠ مليون ريال في الدخل الوطني، أحاول أن أستوعب، لكن طالما أن معالي رئيس مجلس الإدارة قال ذلك فهذا يعني أن الرقم صحيح أكثر من مائة بالمائة، ولو قال مليار ريال سيبقى صحيحا أيضا، المهم أن الحكومة لم تعد تدفع عشرات الملايين سنويا لدعم خسائره، علما أنها قبل سنوات قلائل كانت تتجاوز المائة مليون سنويا!!

من يطالبون باحترام حرية التعبير، ويصرخون إن حرموا منها.. هم أكثر من يريدون منع (الآخر) من حرية التعبير.. هذا إذا لم يطالبون بإلغائه أصلا، قد يكون (الآخر) شخصا أو مؤسسة.

ما أسهل صناعة الأعداء، قل ما يخالف رأيهم فقط، حيث تصبح وجهة نظرك في رواية ما مستحقة لحنق الكاتب عليك.. ومعه أقاربه وأصدقاؤه وأتباعه، وستوصم بأنك «غير ناقد» ولا.. تفهم، لذلك سيميل أعضاء بعض الأوساط الإبداعية إلى الصمت أكثر.

(البعض) يحاول أن يكون ملكيا أكثر من الملك نفسه بالمديح المبالغ فيه، فيغدو كلامه «محط سخرية وتندر»، رائع أن تحب وطنك، لكنه لن يكون «سيد الأوطان»!

وأقول: الحرية هامشها واسع، فقط بالابتعاد عن «الإساءة».. للفرد أو المؤسسة.. إنما هامش الحرية لدى الفرد.. هو الضيّق.